دور روسيا وإيران وقوى المقاومة في الحرب على الإرهاب

دراسة من إعداد

الدكتور علي مطر[1]

بيروت 26 نيسان 2021

---

[1] * الدكتور علي ابراهيم مطر

دكتوراه علاقات دولية ودبلوماسية

باحث في العلاقات الدولية والقانون الدولي

-متعاون مع مركز الدراسات القانونية والسياسية في الجامعة اللبنانية

-نشر له أبحاث عدة منها في مجلة الحقوق والعلوم السياسية في الجامعة اللبنانية ومركز باحث للدراسات الاستراتيجية ومركز الاتحاد للأبحاث غيرها.

-كاتب سياسي في العديد من الصحف اللبنانية

-شارك في عدة مؤتمرات علمية وله عدة مشاركات إعلامية.

الفهرس

المقدمة.....3
المبحث الأول: دور روسيا في محاربة الإرهاب في سوريا.....4
المطلب الأول: علاقة روسيا بسوريا وموقفها من الأزمة.....4
المطلب الثاني: دور روسيا في محاربة التنظيمات الارهابية.....6
المبحث الثاني: دور إيران وقوى المقاومة في محاربة الإرهاب.....11
المطلب الأول: الدّور الإيرانيّ في محاربة الإرهاب.....11
الفقرة الأولى: الدّور الإيرانيّ في العراق.....11
الفقرة الثانية: الدور الإيراني في سوريا.....15
المطلب الثاني: دور حزب الله والحشد الشعبيّ في محاربة الإرهاب.....20
الفقرة الأولى: دور حزب الله في محاربة الإرهاب.....20
الفقرة الثانية: دور الحشد الشّعبيّ العراقيّ في الحرب ضدّ "داعش".....23
الخاتمة.....25
لائحة المراجع.....26

المقدمة:

ساهمت الأحداث التي حصلت إبّان ثورات الربيع العربي، في تهيئة البيئة العربية المؤاتية لصعود السلفية "الجهادية"، ما أدى إلى تنامي ظاهرة الإرهاب في عالمنا العربي، وخاصة في سوريا والعراق. حيث سعى تنظيم "داعش" إلى بناء دولة الخلافة في هذين البلدين، فهدّد بذلك أمن منطقة الشرق الأوسط بأسرها، من ثمّ تعدّاه إلى تهديد الأمن العربي والإقليمي والسلم والأمن الدوليين. ولقد باتت الدول العربية في خطر على كافة المستويات السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والأمنية، لا سيما أن موجة الإرهاب هذه، قد رافقتها موجة تكفيرٍ بالغة الخطورة، عملت على استباحة دماء العرب من المسلمين والمسيحيين على السواء.

إثر الأحداث التّي اندلعت في سوريا، ودخول تنظيمي "جبهة النّصرة" و"داعش" إلى الأراضي السّوريّة، اتّخذت دمشق قرارًا استراتيجيًا في المواجهة، عبر إشراك حلفائها في الحرب على الإرهاب، وقد أدّى التّعاون، الذّي حصل من قبل سوريا وروسيا وإيران بمشاركة حلفائها في حزب الله والحشد الشّعبيّ ومساعدة العراق، إلى تحقيق منجزات سياسيّة وعسكريّة كبيرة ضدّ "داعش" والتّنظيمات المُتطرّفة الأخرى المُنضويّة تحت لواء تنظيم "القاعدة"، إضافةً إلى الحؤول دون تقسيم سوريا.

لقد أدّى ثبات موقف روسيا وإيران في مكافحة الإرهاب إلى جانب الجيش السّوريّ، إلى تماسك الدّولة السّورية واستعادة سيادتها على معظم المناطق التّي احتلّها الإرهابيون، ومع ذلك فإنّ هذا التعاون، وإن كان لا يشوبه عيب قانوني، لكنه حوى مخاطر متعدّدة، نتيجة الاصطفاف الدّوليّ الذّي حصل على السّاحة السّوريّة.

وأمام أهميّة الدّور الذّي لعبته روسيا وإيران في مكافحة الإرهاب في سوريا، وتعاونهما مع الدّولة السّورية لإعادة الأمن والاستقرار إلى البلاد، سنجيب عن سؤال أساسي هو كيف لعبت روسيا دوراً محورياً في منع سقوط نظام الرئيس بشار الأسد؟ وكيف شاركت إيران وحلفاؤها في صمود سوريا ومحاربة التنظيمات المتطرفة في سوريا والعراق؟ وسوف نجيب عن ذلك من خلال تقسيم هذا الدراسة إلى مبحثين حمل الأول عنوان "**دور روسيا في محاربة الإرهاب في سوريا**"، فيما أتى المبحث الثاني تحت عنوان "**دور إيران وقوى المقاومة في محاربة الإرهاب**"، ونستخدم للإجابة عن كل ذلك المنهجين التاريخي والتحليلي بالإضافة إلى المنهج الوصفي.

المبحث الأول: دور روسيا في محاربة الإرهاب في سوريا

أدّى التّخوف الرّوسيّ من أحداث الرّبيع العربيّ، واستغلال التّنظيمات الإرهابية لها لتوسيع نفوذها في الشّرق الأوسط، إلى جعل موسكو تهتمّ بشكلٍ أكبر بمنطقة الشّرق الأوسط خوفاً من وصول الإرهاب إلى المجال الأوراسي.

وأمام تصاعد حدّة النّزاع في سوريا، بين المعارضة السّوريّة المدعومة من واشنطن وحلفائها وبين الدّولة السّوريّة، التّي تعتبرها روسيا مجالاً حيوياً لها في الشّرق الأوسط، ومن ثمّ دخول تنظيمي "القاعدة" و"داعش" إلى سوريا وتهديد أمنها، دخلت روسيا على خطّ هذه الأزمة، لقطع الطّريق أمام واشنطن من الاستفراد بدمشق، ومن ثم محاربة الإرهاب في سوريا لمنع وصوله إلى روسيا خاصةً أنّ هناك مئات الإرهابيّين الرّوس يقاتلون إلى جانب "داعش" وغيره من التّنظيمات المُتطرّفة.

ما تقدم سنتحدّث عنه في هذا المطلب، الذّي قسّمناه إلى مطلبين حمل الأول عنوان "**علاقة روسيا بسوريا وموقفها من الأزمة**"، أمّا المطلب الثاني فقد أتى تحت عنوان "**دور روسيا في محاربة التّنظيمات المُتطرّفة**".

المطلب الأول: علاقة روسيا بسوريا وموقفها من الأزمة

شهدت العلاقات الرّوسيّة العربيّة لا سيّما مع سوريا تطوّراً ملحوظًا منذ عام 2000، بعد أن كانت قد شهدت انحساراً وتراجعًا واضحين خلال عقد التّسعينيات من القرن العشرين، ولما كانت روسيا بالكاد تستطيع ضمّ الشّرق العربيّ إلى منطقة نفوذها، فقد عمل الرّئيس الرّوسيّ فلاديمير بوتين بجد، ومنذ وصوله إلى السلطة، على استعادة النّفوذ السّوفياتيّ السّابق في منطقة الشّرق الأوسط، مستندًا إلى كون روسيا قوّة عظمى، ومعتبراً في نفس الوقت مسألة (العودة إلى الشرق الأوسط)، جزءاً أساسياً من استراتيجيةِ التعبئةِ العامّةِ لسياسته الدّوليّة. فضلاً عن ذلك كله، فإنّ روسيا تريد أن يكون لها حضورٌ قويٌّ في هذه المنطقة المهمّة والحيويّة، كما تطمح بذلك أيّ قوّةٍ عظمى. وتعود العلاقات الروسيّة السّوريّة في العصر الحديث إلى ما بعد الحرب العالميّة الثانية واستقلال سوريا، وتنامت في خمسينيات القرن العشرين صعودًا حتى الآن، وذلك في مواجهة نزعات الهيمنة الغربيّة على سوريا والمشرق العربيّ.

وتُولي روسيا أهميّةً خاصّةً لعلاقاتها المتميّزة مع سوريا، وذلك كون موسكو تملك مصالح استراتيجيّة واقتصاديّة مهمّة في سوريا، ليست في معرض استبدالها بغيرها ضمن الواقع والظّروف السّياسيّة السّائدة حالياً في المنطقة والعالم. وقد تأكّد الاهتمام الذّي توليه روسيا لأوضاع سوريا واستمرار علاقاتها المتينة بها خلال الأزمة السّوريّة

النّاتجة عن انتشار الإرهاب فيها.[2] وتُشكّل سوريا بالنّسبة لروسيا باباً للتواجد في منطقة الشّرق الأوسط ، وتعتبر أنّ تمرّكزها في سوريا مسألة إثبات وجود لمكانتها على المسرح الدولي. فسوريا تعتبر المحطة الإستراتيجية لروسيا في الشرق الأوسط.[3] خاصةً أنّ لروسيا قاعدةً بحريّة مهمّة في طرطوس أُنشئت عام 1971 ، وهي تُعدّ القاعدة البحريّة الوحيدة المُتبقيّة لها من الحقبة السوفياتيّة خارج حدودها،[4] فضلاً عمّا تُشكّله دمشق بالنّسبة لموسكو كسوقٍ تجاريّةٍ حيويّة في قطاعي السّياحة والطاقة خاصةً، حيث تبلغ التبادلات التجاريّة بين البلدين ما يقارب مليار ومئة مليون دولارٍ، وفق إحصاءات العام 2010،[5] بالإضافة إلى أنّها تُعدّ شريكًا أساسًيا لروسيا في مضمار استيراد السّلاح الرّوسيّ، سواء في زمن الاتحاد السّوفياتيّ أو مع روسيا الاتحادية بعد تفكّك الاتحاد.[6] لذلك كانت موسكو داعماً للدّولة السّوريّة فى حربها ضدّ الإرهاب وقد ساندتها سياسياً وعسكرياً وإعلامياً. وكانت توجّه ضربات للإرهابيّين داخل الأراضى السّوريّة، وتعمل بشكلٍ موازٍ على تثبيت المصالحة السّوريّة . السّوريّة، ساعيةً للوصول إلى حلٍّ سياسيٍّ للأزمة.

إنّ موقف روسيا بشأن الأزمة السّوريّة، كما كان واضحًا من تصريحات الرّئيس الرّوسيّ فلاديمير بوتين، ورئيس حكومته ديمتري ميدفيديف وفي أغلب البيانات الرّسميّة الصّادرة من وزارة الخارجيّة ومكتب الرّئيس، ظلّ دون تغيّر أساسيّ منذ بداية النّزاع في آذار 2011، إذ دعت روسيا لوقفٍ فوريٍّ لاستخدام القوّة من قبل جميع الأطراف والتوصّل إلى حلٍّ سلميٍّ للأزمة من خلالِ حوارٍ واسعٍ يشملُ جميعَ أطياف الشّعب السّوريّ، ودون تدخّل أو ضغط خارجيٍّ وبلا وشروط مُسبقة.[7] لقد أدّت أحداث الرّبيع العربيّ، وما نجم عنها من سقوط للأنظمة العربيّة، وخاصةً في ليبيا، التّي أدّى التّدخل الدّولي فيها إلى الإطاحة بمعمّر القذافي ودخول البلاد في حرب أهليّة، ومن ثمّ وصول شرارة هذه الأحداث إلى سوريا، وانتشار الجماعات الإرهابيّة فيها، إلى جعل موسكو مهتمَّة أكثر بمنطقة الشّرق الأوسط خوفًا من وصول الأمر إلى المنطقة الأوراسية وخاصةً القوقاز وآسيا

---

[2] انظر، حسين محمد كوراني، **السياسة الخارجية الروسية حيال الاتحاد الأوروبي**، رسالة إعدت لنيل شهادة الماستر في العلاقات الدولية، الجامعة الإسلامية في لبنان – كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2015، ص 162.

[3] انظر، نوار جليل هاشم وأمجد طعمة، **السياسة الروسية إتجاه عملية التغيير في سوريا**، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، العدد السابع، ايلول/سبتمبر 2015، ص 9 حتى 15.

4 Margarete Klein, ***Russia's Policy on Syria: On the Way to Isolation***, Scpss, 30 March 2012, https://www.scpss.org/libs/spaw/uploads/files/Policy/03-30-2012_Russia's_Policy_on_Syria_Klein.pdf

[5] ، انظر، دايفيد دبليو ليش، **سوريا سقوط مملكة الأسد**، ترجمة انطوان باسيل، الطبعة الأولى، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2014، ص 63.ص 182.

6 DAVID M. HERSZEN HORN, ***For Syria, Reliant on Russia for Weapons and Food***, Old Bonds Run Deep, The New York Times, 18 FEB 2012.

[7] Azuolas Bagdonas**, Russia's Interests in the SyrianConflict:Power**, Prestige, and Profit, European Journal of Economic and Political Studies,p57.

الوسطى.[8] ووقفت روسيا فلاديمير بوتين – بمشاركة الصّين – في وجه السّياسة الغربيّة الأميركيّة في سوريا، من خلال رفض تحويلها إلى ليبيا ثانيةً، بعد أن تبيّن لموسكو أنّ ما أريد من إجراءات مجلس الأمن الدّوليّ لحماية المدنيّين في ليبيا وفق مبدأ التّدخّل الإنسانيّ، حيث أخذت فيه واشنطن وحلفاؤها الغربيّين حريّتهم في تفسيره، من خلال إسقاط نظام معمّر القذافي. لذلك قرّرت موسكو عدم السّماح بحصول الإدارة الأميركيّة على قرار تحت الفصل السابع يسمح لها بالعمل في سوريا وفق هذا الخيار.

وبناءً على ما تقدّم، يمكن القول إنّه ثمّة هدفان استراتيجيان كبيران وراء التدخّل الروسيّ في النّزاع السّوريّ. ويكمن الهدف الأول في وقوف روسيا كقوّة عظمى بوجه هيمنة الولايات المتحدة في النّظام الدّوليّ والسّياسة الدّوليّة. وقد فتحت الأزمة في سوريا، التّي تُعدّ حليفاً رئيسياً لروسيا وبوابتها في الشّرق الأوسط، الباب على مصراعيه أمام التّدخّل الأميركيّ في الشّرق الأوسط. وهذا ما جعل روسيا تدخل بثقلها السّياسيّ والعسكريّ على خط هذه الأزمة إلى جانب حكومة الرّئيس بشار الأسد، فيما يكمن الهدف الثاني في مساعدة الدّولة السّوريّة في حربها ضدّ المتطرّفين الذّين تخشى موسكو أن يتجهون إليها بعد انتهاء الحرب في سوريا.

المطلب الثاني: دور روسيا في محاربة التنظيمات الارهابية

دفع انتشار تنظيم "داعش" وغيره من الجماعات الإرهابيّة التابعة لتنظيم "القاعدة"، روسيا نحو اتخاذ إجراءات فعّالة ضدّها، ودعم الدّولة السّوريّة إلى أقصى حدود ممكنة. ففي أيلول/ سبتمبر 2015، أعلنت روسيا بدء التّدخل العسّكريّ إلى جانب الدّولة السّوريّة في مواجهة الإرهاب، وتدخّلت عسّكرياً بشكلٍ واضح في مكافحة التّنظيمات الإرهابيّة بناءً على دعوة سوريا، فقد أرسلت موسكو طائراتها ودباباتها وصواريخها إلى سوريا.[9]

وقال مسؤولون في البنتاغون إنّ روسيا قد نشرت قرابة أربعة آلاف جندي في سوريا، وأشار المحلّل في المعهد الأميركي لدراسات الحرب كريستوفر هارمر إلى أّن زيادة القوّات الرّوسيّة على الأرض تُوفّر أفراد الدّعم اللوجيستي اللازمين لاستمرار العمليّات القتّاليّة.[10] لقد أتى التدخل الرّوسيّ إلى جانب الجيش السّوريّ، بعد أن كان تنظيم "داعش" وغيره من التّنظيمات الإرهابيّة، يُسيّطرون على نصف الأراضي السّوريّة، فروسيا كانت

---

[8] انظر، تامر بدوي، **التأثيرات المحتملة لتنظيم الدولة على المجال الأوراسي: الأبعاد والتداعيات الإقليمية**، مركز الجزيرة للدراسات، 23 تشرين الثاني 2014، ص 1، وانظر ديمتري ترينين، **المصالح الروسية في سورية**، كارينغي الشرق الأوسط، 11 حزيران/يونيو 2014.

[9] انظر، **روسيا ترسل أنظمة دفاع جوي إلى سوريا لحماية طائراتها**، روسيا اليوم، 05 تشرين الثاني/نوفمبر 2015، ومي غيث، **التدخل الروسي في سوريا: الأبعاد والسيناريوهات**، المعهد المصري للدراسات ، 25 تشرين الثاني/نوفمبر 2015، ص 1.

[10] **مسؤولون أميركيون: 4 آلاف جندي روسي في سوريا**، سكاي نيوز، 5 تشرين الثاني/نوفمبر 2015، تاريخ الزيارة في 20 ايلول/سبتمبر 2017، https://www.skynewsarabia.com/world/788439

ترى أنّ "داعش" إذا بنى دولته فى سوريا، سوف يتمدّد أكثر ليصل إلى روسيا من خلال دخوله إلى الشّيشان، وكان هذا دافعًا قوّياً وراء توجيه الضّربات العسّكريّة لـ"داعش" فى سوريا كخطوة استباقية وقائية، قبل تمدّدها إلى المجال الأوراسي، وأعلن المُدّعي العام الروسي يوري تشايكا أنّ روسيا قد فتحت 650 قضيةً جنائيةً تتعلق بمشاركة مواطنين روس فى تنظيمات إرهابيّة، كما صرّح القائم بأعمال رئيس مركز مكافحة التّطرّف أنّ أغلب من شاركوا فى تنظيم "داعش" من روسيا قد تمّ التعرّف على هوياتهم[11].

وأعلن وزير الخارجية الروسيّ سيرغي لافروف أنّ أهداف العمليّة الروسيّة في سوريا هي مكافحة الإرهاب، وقال خلال مؤتمر صحفي في أول تشرين الأول/ أكتوبر 2015 في مقرّ الأمم المتّحدة في نيويورك: "لقد قلنا بوضوح إنّ مهمة عمليتنا جاءت ردًا على طلب الرّئيس الأسد، والهدف الذّي تسعى إليه قوّاتنا المسلّحة هو محاربة الإرهاب، مشيراً إلى أنّ الإرهابيّين خطّطوا للسّيطرة على أراضٍ ممتّدة من البرتغال وحتى باكستان".[12]

ولفتت دراساتٌ بريطانيةٌ إلى أنّ تكلفة العمليّات العسّكريّة الرّوسيّة في سوريا بلغت ما بين مليوني دولارٍ وأربعة ملايين يومياً.

وبحسب تقرير للمعهد البريطانيّ للدّفاع "أي.أتش.أس جينز"، أصدره في 26 تشرين الأول/ أكتوبر 2015، ونشرته صحيفة "فايننشال تايمز" البريطانيّة، أيّ بعد أقل من شهرٍ على بدء الطّلعات الجويّة الرّوسيّة في سماء سوريا، فإنّ موسكو أنفقت ما بين 2.3 مليون دولار و4 ملايين دولارٍ يومياً، على عمليّاتها العسّكريّة في سوريا. وشمل الإنفاق تكلفة الأسلحة والصّواريخ والقنابل المستخدمة في القصف، إضافةً إلى الخدمات التّقنيّة وصيانة المعدّات المشاركة في العمليّات، ونفقات الموارد البشريّة. وقدّرت الدّراسة تكلفة عمل الطّائرة الحربيّة الرّوسية في السّاعة الواحدة بقرابة 12 ألف دولار.[13]

لقد أوقف التّدخل الرّوسيّ انهيار النّظام السّوريّ، وهذه حقيقةٌ واضحةٌ، فبعد التّدخّل الرّوسيّ استعاد النّظام كامل اللاذقية، وتمّ ربطها بحلب واستعاد أجزاءً من حمص وحما. كما واستعاد السّيطرة على قاعدة كويرس العسّكريّة ومدينة تدمر واستطاع الحفاظ على دمشق.

في المقابل حقّقت روسيا مكسباً رئيسيّاً نتيجة تدخّلها في سوريا عبر تعزيز مكانتها في النّظام الدّولي وعلاقتها بالأطراف الفاعلة فيه مثل الولايات المتحدة وأوروبا، حيث لم يعد باستطاعة واشنطن التّفرّد بالنّظام الدّوليّ

---

[11] عمرو منصور، **المخاوف الروسية والموقف الأمريكي من تمدد داعش في القوقاز**، السياسة الدولية، 30 كانون الثاني/يناير 2015.

[12] **لافروف: أهداف العملية الروسية في سوريا مكافحة الإرهاب لا دعم أي من القوى السياسية**، روسيا اليوم، 1تشرين الأول/أكتوبر 2015، تاريخ الزيارة في 20 ايلول/سبتمبر 2017، https://arabic.rt.com/news/795582–

[13] Kathrin Hille in Moscow, **Russia defies recession to fund Syria conflict**, 25 OCTOBER 2015, https://www.ft.com/content/8f9c21fa-7957-11e5-933d-efcdc3c11c89

بمنأى عن موسكو؛ فضلاً عن أنّ هناك مكاسب أخرى حققتها روسيا من عمليّتها العسكرية في سوريا مثل تعزيز إطلالتها الاستراتيجية على البحر المتوسط، من خلال قواعدها العسّكريّة ونشر صواريخ متطوّرة مثل نظام S300- و S400 .

لقد "جاء التدخّل الرّوسيّ، كما يرى الكثيرون، بعد فشل أميركا والتّحالف الدّوليّ بتحقيق أيّ نجاح دراماتيكيّ في خطّة الانتصار على تنظيم "داعش"، وفشلها في الإعداد لأيّ حلّ سياسيّ، واشتراطها أولاً تنحي الرّئيس الأسد، ثمّ العودة عن هذا الشّرط.

كما حقّقت القوّات الرّوسيّة نتائج فعّالة بتدمير مراكز قيادةٍ وسيطرةٍ ومخازن وأسلحةٍ وذخائرٍ وقواعد لوجستيّة، سواء لتنظيم داعش في الرّقة ودير الزور أو للتّنظيمات الأخرى، ممّا دفعها إلى التّواري وتغيير المواقع وانسحاب بعضها إلى أقصى الشّمال بمقربة من الحدود التّركية".[14]

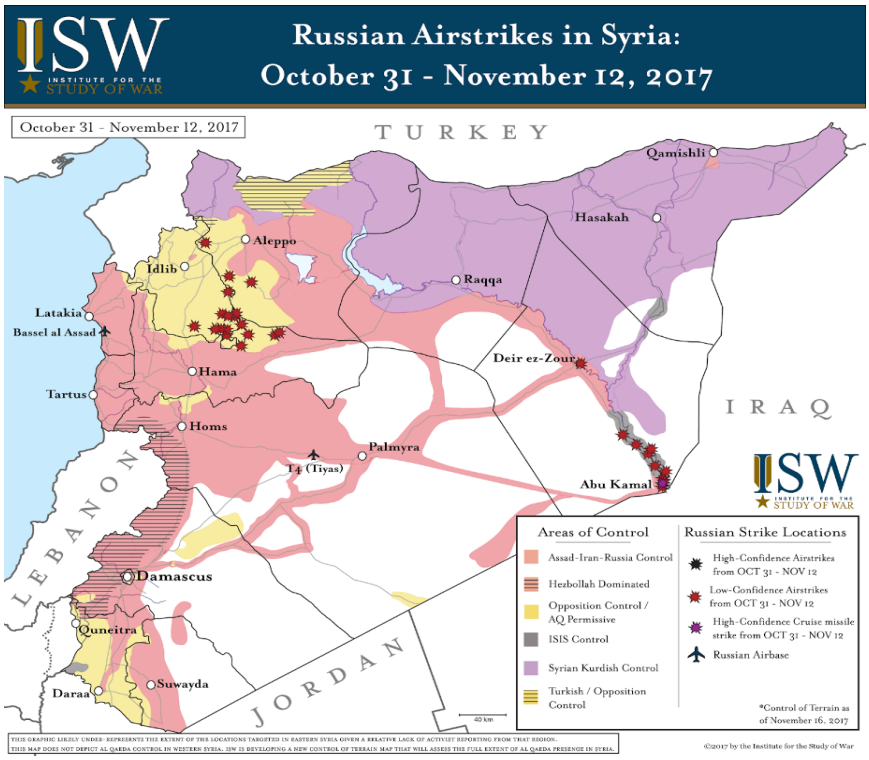

وتظهر هذه الخريطة الصّادرة عن معهد دراسات الحرب الأميركيّ، عمل القوّات الرّوسيّة والغارات الجويّة ضدّ "داعش" وغيره من التّنظيمات الإرهابيّة في سوريا بين تشرين الأول/ أكتوبر وتشرين الثاني/ نوفمبر 2017.

[14] هشام جابر، **روسيا في سوريا.. الأهداف والقدرات والنتائج**، موقع الجزيرة، 8 تشرين الأول/أكتوبر 2015، تاريخ الزيارة في 20 ايلول/سبتمبر 2017 https://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2015/10/8/

حيث يظهر بشكلٍ واضحٍ كيف أنّ العملّيات العسّكريّة الرّوسيّة لم تقتصر على استهداف التّنظيم، الذّي تمّ توجيه غارات عسكريّة ضدّه في محافظة دير الزّور، ومنها في مدينة البوكمال. بل وتظهر الضّربات التّي توجّهها الطّائرات الرّوسيّة ضدّ "جبهة النّصرة" في إدلب ايضاً.

وقد فضح التّدخّل الرّوسي ضد الإرهاب في سوريا، التناقض في موقف الولايات المتحدة، التّي تدّعي أنّها تقاتل "داعش"، بينما تستخدمها كأداة لإسقاط الدّولة السّوريّة، خاصةً أن العمليآت العسّكرية الرّوسيّة لم تقتصر على محاربة تنظيم "داعش"، إنّما كانت تقوم على استهداف كافّة التّنظيمات الإرهابيّة، ومنها تنظيم "داعش" و"جبهة النصرة" و"جيش الإسلام" الذّي كان يتزّعمه زهران علوش في دمشق، وحركة أحرار الشام"، وحركة "نور الدّين الزّنكي"[15]، وغيرها من التّنظيمات الإرهابيّة التّي تلقّت الدّعم من واشنطن، التّي عملت وفق معايير مزدوجة في محاربتها للإرهاب في سوريا.لقد ساهم الوجود الرّوسيّ في سوريا بشكلٍ فاعلٍ، في تراجع تنظيم "داعش" وغيره من التّنظيمات الإرهابيّة، وفي المقابل استعاد الجيش العربيّ السّوريّ والقوّات المتحالفة معه، تدريجياً، المناطق التّي كانت محتلّة من قبل هذه التّنظيمات. كما قطع هذا التّدخل الطّريق على واشنطن من الاستفراد بالدّولة السّوريّة، والتمكّن من إسقاطها كما حصل في ليبيا وكما حصل سابقاً في العراق.

ولا يوجد شك أنّه كان لدخول روسيا إلى سوريا أثرٌ بالغ الأهميّة، لصالح الدّولة السّوريّة ومحاربة الإرهاب في الشّرق الأوسط، فقد منع هذا التّدخل سقوط الدّولة السّوريّة، وأسقط الحرب الإرهابيّة على سوريا، ووقف في وجه التّدخّلات الأميركيّة الغربيّة، التي كانت تُريد إسقاط نظام الرّئيس بشّار الأسد بالقوّة، وشكّل التّدخّل الرّوسيّ دعامةً رئيسيّةً لبقاء النّظام وعدم تقسيم الدّولة السّوريّة. كذلك دفعت العمليّة العسّكريّة الرّوسيّة في سوريا، موسكو، إلى فرض أجندتها السياسيّة على الأرض، عندما وجدت أنّ الولايات المتّحدة الأميركيّة لا تبحث عن الحلول للأزمة السّوريّة وخاصّةً بعد عقد ثماني جولاتٍ تفاوضيّةٍ بين الحكومة السّوريّة والمعارضة في جنيف، وقد وجدت روسيا أنّ مسار مؤتمر "سوتشي"[16] هو الحلّ الأمثل وقامت بدعوة عددٍ كبيرٍ من الفصائل السّوريّة

---

[15] حركة نور الدين الزنكي تنظيم مسلح شارك في الحرب السورية، تشكلت في أواخر عام 2011 من قبل الإرهابي توفيق شهاب الدين في منطقة حلب ثمّ اتخذت اسمًا لها من نور الدين زنكي أمير دمشق وحلب في القرن الثاني عشر. تلقت دعمًا منَ الولايات المتحدة عبر تزويدها بالصواريخ الموجهة المضادة للدبابات. خلالَ نفسِ الفترة كانت الحركة واحدةً من أكثر الفصائل نفوذًا في حلب وقد ارتكبت جرائم عدة، وبحلول 18 شباط/فبراير 2018 اندمجت الحركة معَ حركة أحرار الشام لتشكيل جبهة تحرير سوريا.

[16] مؤتمر سوتشي أو مؤتمر الحوار الوطني السوري هو مؤتمر رعته روسيا عقد يوم 30 يناير/كانون الثاني 2018 في منتجع سوتشي المطل على البحر الأسود بهدف المساهمة بإيجاد حل سياسي للحرب الأهلية السورية، ومن أبرز مخرجاته الاتفاق على تأسيس لجنة لإعادة كتابة الدستور السوري، ودعوة لإجراء انتخابات ديمقراطية.

والحكومة للاتفاق على صيغة للتّسوية، تبدأ عقب معالجة بعض مواد الدستور. وقد حظيت تلك المبادرة، بدعمٍ من المبعوث الأمّمي لسوريا ستيفان ديمستورا والمجتمع الدولي.[17]

لقد زاد دخول روسيا والعمل في سوريا، دون أدنى شك، من مؤشرات حصول حربٍ كبرى في منطقة الشّرق الأوسط، نتيجة الاصطفافات الدوليّة والإقليميّة الحاصلة على الأرض السّوريّة، إلاّ أنّ موسكو استطاعت أن تقوّض الهيمنة الأميركيّة في هذه المنطقة من العالم، وتمنع واشنطن من التّفرّد بسوريا، كما أعادت التّوازن إلى ساحة المعركة، وهذا ما جعل الإدارة الأميركّية تذهب نحو التّصعيد في وجه روسيا، من خلال الضربات الصّاروخية، التّي وجهتها القوات الأميركية لسوريا، في ظلّ وجود القوّات الرّوسيّة هناك. فضلاً عن العمل شرق الفرات بشكلٍ يُحرج الروس، الذين كانوا يسعون إلى تحرير كامل المناطق السّوريّة، إلاّ أنّ التّعاون الوثيق بين كلٍّ من روسيا وإيران وسوريا والعراق وحزب الله قد ساهم بتراجع هيمنة الولايات المتّحدة في المنطقة.

لقد استفادت روسيا من التّدخّل العسّكريّ لزيادة قدرتها على التحكّم الجيوسياسيّ بمنطقة الهلال الخصيب، بما يحدّ من قدرة الغرب على المناورة الاستراتيجيّة فيها، من خلال تشكيل ترتيبات إقليميّة أمنيّة وسياسيّة، بالإضافة إلى ردّ الاعتبار لمكانة روسيا الدّوليّة ودورها بوصفها قوّة عظمى، من خلال تأكيد دورها بصفتها شريكًا أساسيًّا في معالجة الأزمات الدّوليّة، فضلاً عن توظيف الأزمة السّوريّة بوصفها ورقةً تفاوضيةً في علاقتها مع الولايات المتّحدة بخصوص ملفات إشكاليّة، كالعقوبات الاقتصاديّة وأوكرانيا.

ومع أهمية التدّخل الرّوسيّ لحماية الدّولة السّوريّة، إلاّ أنّ له تداعياتٍ كبرى على منطقة الشّرق الأوسط بمجملها، وعلى المنطقة العربيّة بشكل خاصٍّ، حيث زاد من استباحة الدّول العظمى لهذه المنطقة، وساهم في تصاعد التّوتّر فيها، كما أنّه يؤدّي إلى وضع سيناريو مُخيف لمستقبل المنطقة، يحمل بين دفتيه نشوء مواجهة كبرى بين كل المحاور المُتنازعة في هذه المنطقة، والتّي ستترافق مع تدخل الدّول العظمى بشكلٍ أوسع فيه. لقد أصبح انقسام العالم بسبب الأزمة السّوريّة ومحاربة الإرهاب، وتدخل القوى العظمى فيها، إلى جانب أطراف إقليميّة متعدّدة، إلى شطرين أو محورين؛ محورٌ بقيادة الولايات المتّحدة الأميركيّة، وينضوي فيه الدّول الغربيّة ودول عربية، ومحور يدافع عن سوريا، وتتقدّمه روسيا والصّين وإيران وقوى المقاومة، ما أدّى إلى زيادة الشّرخ في السّياسة الدّوليّة، وهذا ما بات يُهدّد الأمن القوميّ العربيّ، حيث ترتفع فرضيّة إمكانية حصول صدام بين هذه القوى فيه. وقد بات من الصّعب العودة إلى علاقات جيدة بين هذه الدول، كما كانت عليه قبل الأزمة السورية، خاصةً أمام الشرخ الحاصل بين سوريا ومؤيّديها والدول العربيّة التّي سعت إلى إسقاط نظامها.

---

[17] انظر، **ثلاث سنوات للعملية العسكرية الروسية في سوريا... ماذا تحقق**، وكالة سبوتنيك، 30 ايلول/سبتمبر 2018، تاريخ الزيارة في 20 ايلول/سبتمبر 2018 https://arabic.sputniknews.com/arab_world/201809301035694100

المبحث الثاني: دور إيران وقوى المقاومة في محاربة الإرهاب

شكّلت إيران وحلفاؤها وعلى رأسهم حزب الله والحشد الشعبيّ العراقيّ، ركيزةً أساسيَّة في مواجهة الإرهاب في العراق وسوريا. كما شكّلوا قوّة دفع رئيسيّة لنظام الرّئيس السّوري بشّار الأسد، من أجل الوقوف في وجه الحرب التّي كانت تُشنّ عليه من قبل "داعش" وغيرها من التّنظيمات الإرهابية. لذلك سوف نتحدث في المطلب الأول من هذا المبحث عن دور إيران في هذه المواجهة، وقد حمل المطلب عنوان " الدّور الإيرانيّ في محاربة الإرهاب، ومن ثمّ نتطرّق في المطلب الثّاني إلى دور حزب الله والحشد الشّعبيّ العراقيّ.

المطلب الأول: الدّور الإيرانيّ في محاربة الإرهاب

تُعدّ إيران أحد اللاعبين الأساسيّين في العراق وسوريا، وقد شكّل دخولها على خط مواجهة "داعش"، أحد أهمّ العوامل التّي جعلتها قوّةً إقليميةً مؤثّرةً جداً في الشّرق الأوسط، لا يمكن إغفال دورها على المستوى الإقليمي، وتأثيرها في الأوضاع على السّاحة السّياسيّة الإقليميّة عامّةً، والعربيّة على وجه التحديد. وسنتحدث في هذا المطلب عن دور إيران في مواجهة "داعش" في العراق وسوريا، إلاّ أنّ التّركيز سيكون على الدّور الإيرانيّ في سوريا لما له من أبعاد سياسيّة.

الفقرة الأولى: الدّور الإيرانيّ في العراق

شكّل سقوط نظام صدّام حسين والغزو الأميركيّ للعراق، سبباً رئيسياً لدخول إيران في العمليّة السّياسيّة العراقيّة، وقد توسع نفوذها في العراق بعد أن استطاع حلفاؤها في بلاد الرافدين من الوصول إلى الحكم، وتطوّر الدّور الإيرانيّ في العراق، بعد الخروج الأميركيّ من العراق عام 2011.

مع ظهور تنظيم "داعش" في العراق، أصبحت إيران لاعباً إقليمياً رئيسياً في السّياسة العراقيّة، نظراً إلى علاقاتها مع القوى السّياسيّة، وخاصةً القوى الإسلاميّة الشّيعيّة، فضلاً عن دعمها للحكومة العراقيّة ومساهمتها في تشكيل قوّات الحشد الشّعبيّ التّي لعبت دوراً بارزاً في محاربة تنظيم "داعش". كانت إيران أول دولة تتعهد بتقديم المساعدة إلى العراق لمحاربة التّنظيم الإرهابيّ، وقد أرسلت معدّات عسكرية وقدّمت مساعدات ميدانية.[18] وبدأت

[18] Bruno Gomes Guimaraes and Marcelo Scalabrin Müller, ***Iran Joins ISIS Fight***,TheDiplomat, 09 December 2014,https://thediplomat.com/2014/12/iran-joins-isis-fight/

السّلطات الإيرانيّة بتقديم المسّاعدة في أوائل حزيران/ يونيو 2014 بعد هجوم الجماعات الإرهابية على شمال العراق.[19] وقد أشاد الرّئيس العراقيّ السابق، فؤاد معصوم، بالجمهوريّة الإسلاميّة على دعمها للعراق، مُبيّناً أنّ إيران كانت "أول دولة قد قدّمت السّلاح للعراق لمحاربة الارهابيّين".[20] لقد تصاعد التّحدي الأمنيّ للحكومة العراقيّة، حيث أصبحت غير قادرة على مواجهة "داعش" عند سيطرته على أجزاء واسعة من البلاد، وتخلي واشنطن بدايةً عن مساعدتها في مواجهة هذا التّنظيم، فقامت إيران بسدّ حاجة الحكومة ومساعدتها، فأسرعت إلى تقديم السّلاح والذّخيرة، والدّعم العسّكريّ لها قبل غيرها من الدّول.[21]

وقد عزّز إنشاء الحشد الشعبيّ والدعم الإيرانيّ لفصائله نفوذ طهران في العراق عمومًا، وفي مناطق القتال مع تنظيم "داعش" خاصةً، ودفعت إيران بقوّة لمشاركة الحشد الشّعبيّ في معركة الموصل وعموم الحرب ضدّ "داعش" لتحقّق من خلاله أهدافاً استراتيجيَّة في هذا البلد:

1- خلق حالة من توازن النّفوذ مع تركيا في المناطق العربيّة خارج حدود إيران وصولاً إلى الحدود التّركيّة شمالاً والحدود السّورية غربًا.

2- ربط شمال إيران بشمال سوريا؛ وذلك من خلال طرق تصل بين الحدود الإيرانيّة والحدود العراقيّة السّوريّة، عبر أراضي محافظة نينوى، من خلال محافظة ديالى، التّي تخضع لنفوذ الحشد الشّعبيّ وسيطرته، أو من خلال مناطق سيطرة حزب الاتّحاد الوطنيّ الكُردستانيّ في محافظتي السليمانية وكركوك، الذّي يرتبط بعلاقات عميقة مع إيران.[22]

وقد نشرت صحيفة "الغارديان" خريطةً[23] تُظهر رسم الطّريق الذّي سيمّتد من طهران ثمّ بعقوبة مركز محافظة ديالى، مروراً بالموصل وصولاً إلى مدينة الميادين في دير الزّور ومنها إلى السّخنة في ريف حمص، ومنها

---

[19] FARNAZ FASSIHI,***Iran Deploys Forces to Fight al Qaeda-Inspired Militants in Iraq***,The Wall Street Journal, 12 June 2014, https://www.wsj.com/articles/iran-deploys-forces-to-fight-al-qaeda-inspired-militants-in-iraq-iranian-security-sources-1402592470

[20] Martin Chulov in Baghdad, ***Iran sends troops into Iraq to aid fight against Isis militants***, the guardian, Sat 14 Jun , https://www.theguardian.com/world/2014/jun/14/iran-iraq-isis-fight-militants-nouri-maliki?CMP=fb_gu

[21] انظر، عبدالعزيز الظاهر، **النفوذ الإيراني في العراق**، مجلة البيان العراقية، 23 اب/أغسطس 2017، http://www.albayan.co.uk/mobile/MGZarticle2.aspx?ID=5946

[22] رائد الحامد، **المرتزقة في العراق..ميليشيات وفرق وموت** الفصل الثالث، من كتاب **الاحتلال الأميركي في العراق المشهد الأخير**، سلسلة كتب المستقبل العربي، الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2007، ق، ص 8.

[23] ***Iran changes course of road to Mediterranean coast to avoid US forces***, TheGuardian , 16b May 2017, https://www.theguardian.com/world/2017/may/16

إلى تدمر، بشكلٍ لا يؤدي إلى صدام مع القوات الأميركيّة وحلفائها في شمال شرق سوريا التّي يقطنها الأكراد، حتى الوصول إلى دمشق واللاذقية، بحيث تسمح الأخيرة لإيران بالوصول إلى البحر الأبيض المتوسط.

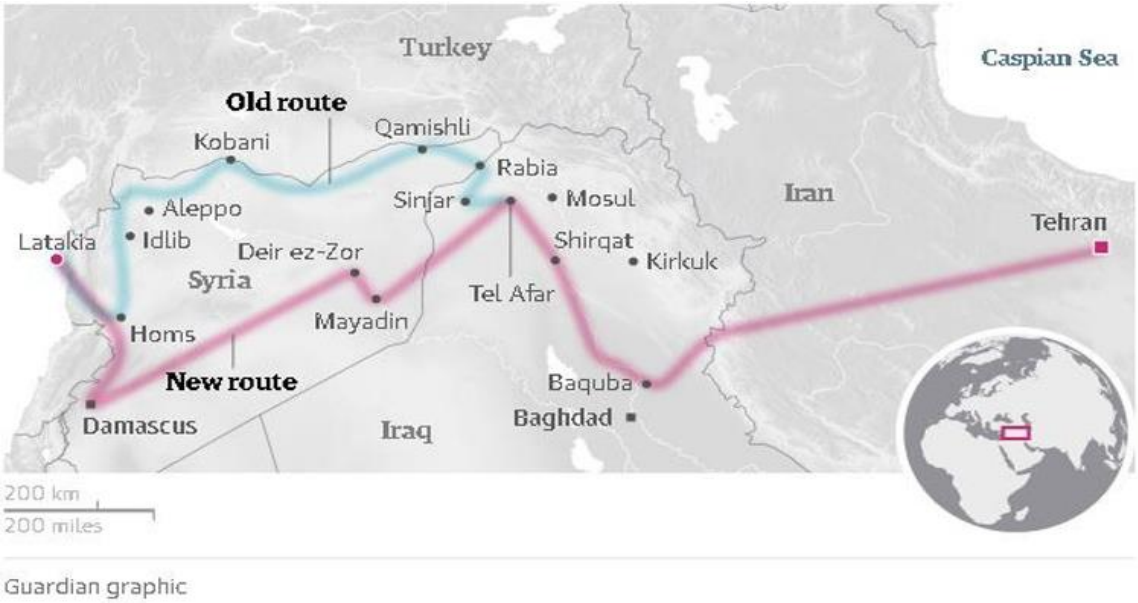

3- التمكّن من حماية الأماكن والمزارات الدينيّة المقدّسة في العراق، فضلاً عن حماية الزّوار الإيرانيّين وغير الإيرانيّين الوافدين إليها، من خلال إبعاد عناصر التّنظيم عن بغداد وكربلاء والنّجف بشكل خاصّ.

4- إبعاد خطر التّنظيم عن المناطق الإيرانيّة، خاصةً مع وجود بيئة بين العراق وإيران مهيأةً لمشاركة التّنظيم في أعماله الإرهابيّة، خاصةً أمام محاولات التّنظيم ضرب العمق الإيرانيّ، فضلاً عن التّفجيرات التّي ينفّذها انتحاريوه بين الحين الأخر.[24]

5- منع واشنطن من التّفرّد بالقرار في العراق، وتوسيع نفوذها على حساب طهران، وعدم السماح لها باحتلال مقنّع للعراق تحت حجة محاربة تنظيم "داعش"، وعدم السّماح لها بمحاصرة إيران عبر العراق التّي تعد خاصرة رخوة بالنّسبة لطهران. بالإضافة إلى قطع الطّريق على القوّات الأميركيّة لجعل العراق قاعدةً لاستهداف الدّولة السّوريّة، فضلاً عن النّظرة الإيرانيّة لواشنطن بأنّها غير صادقة في محاربة الإرهاب في العراق.

[24] صابر كل عنبري، **التصعيد بين تنظيم الدولة وإيران..الدوافع والمآلات**، الجزيرة، 16 اب/أغسطس 2017، تاريخ الزيارة في 20 ايلول/سبتمبر 2017، https://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2017/8/16/

6- عدم السّماح للسّعوديّة بالدخول إلى السّاحة العراقيّة، وتوسيع نفوذها في شمال العراق، والعمل على إبعاد العراقيّين عن السّياسّة الإيرانيّة التّي يربطها مع العراق بُعدٌ عقائديٌ قبل أيّ شيء.

لقد كان دور طهران في الحرب على "داعش" في العراق بارزاً وملموساً، من خلال إرسال مستشاريها ودعم هذا البلد بالسّلاح والذّخيرة، وتدريب عدّة فصائل في الحشد الشّعبيّ العراقيّ، وقد كان لإيران دوراً بناءً في هذه المواجهة لقطع الطّريق على تنظيم "داعش" من السّيطرة على كامل العراق، وخاصةً المحافظات الجنوبيّة، ومحافظتي النّجف وكربلاء في الوسط، التّي كان عناصر التّنظيم على مقربة منها، ويأتي التّدخل الإيرانيّ لأهداف عدّة ذكرناها آنفاً، خاصةً أنّ العراق يعتبر الحديقة الخلفية لإيران نتيجة الحدود الجغرافيّة بين البلدين. وبالتّالي تؤدي سيّطرة التّنظيم عليها إلى تهديد الأمن القوميّ الإيرانيّ.

لقد استفادت إيران من هذا التّدخل بعدّة أمور أبرزها، توسّع نفوذها في العراق، لكن الهدف الأهمّ لإيران منع محاصرتها عبر العراق، حيث يُشكّل العراق بالّنسبة للأميركيّين الممّر الاستراتيجيّ، الذي قد يُمكّنهم من إحكام السّيطرة على مفاتيح تحرّكات إيران في المنطقة. كما أنّها بمثابة مفتاح للسّيطرة على إيران، والإبقاء على التواجد العسّكري الأميركيّ في العراق بمثابة قطع حلقة الوصل بين حلفاء إيران في سوريا ولبنان. كما تسعى إيران لمنع العراق من تشكيل تهديد لها كما كان في عهد صدام حسين، بل أن يكون شريكاً استراتيجياً يمكن الاعتماد عليه في التوسّع الإقليمي. وفي ظلّ الخلافات الإيرانيّة مع دول الخليج العربيّة، وبالتّالي التّعاون مع العراق للخروج من الحصار الاقتصاديّ، الذي تفرضه واشنطن على إيران، خاصةً أنّ العراق يُعتبر سوقاً ضخماً للبضائع الإيرانيّة.

وعلى الرغم من أهمية الدّور الإيرانيّ في محاربة "داعش" ووجود حلفاء لها في العراق، خاصةً من قبل فصائل الحشد الشّعبيّ، إلاّ أنّ هناك شريحةً عراقيةً واسعةً ترفض تعاون الدّولة العراقيّة مع إيران. وقد انقسم الشّارع العراقيّ بين مؤيّد ورافض لهذه العلاقة، حيث هناك من يرى في الوجود الإيرانيّ تهديداً للاستقلال السّياسيّ العراقيّ، وجعل هذا البلد ساحة مواجهة بين واشنطن وطهران، فيما يُفضّل آخرون العلاقة مع السّعودية والولايات المتحّدة الأميركيّة، لكن طرفاً رئيسياً يطالب بخروج القوات الأميركية من العراق، ويُفضّل بناء علاقة استراتيجيّة مع طهران نتيجة وحدة الدّين والحدود الجغرافيّة بين البلدين.

الفقرة الثانية: الدور الإيراني في سوريا

شكّلت الأزمة السّوريّة، والحرب التّي شنّت على دمشق من خلال التّنظيمات الإرهابيّة، دافعاً أساسياً لطهران لتوسيع نفوذها في منطقة الشّرق الأوسط، فضلاً عن التحّسس الإيرانيّ بخطر المشروع الأميركيّ السّاعي إلى محاصرة طهران وحلفائها وكسر محور المقاومة، ما دفع الجمهورية الإسلاميّة، بقيادة الإمام السيد علي الخامنئيّ، لوضع كلّ ثقلها في حماية نظام الرّئيس بشار الأسد. حيث شعرت طهران بقلقٍ بالغ إزاء الآثار الجيوسياسيّة لتغيير النّظام الحليف لها في سوريا، والذّي يعتبر رأس حربة في محور المقاومة المواجه لـ"إسرائيل" والمشروع الأميركيّ لتقسيم الشّرق الأوسط.[25]يكمن الدّعم المقدّم من طهران لدمشق في العلاقات الاستراتيجيّة بين الطرفين، والتّي بدأت على أوسع نطاق بعد انتصار الثّورة الإيرانيّة. وتُعدّ العلاقات السّوريّة الإيرانيّة إحدى أهمّ القضايا في المشهد السّياسيّ الرّاهن للشّرق الأوسط، وهذه العلاقات تُشكّل مدار بحث واهتمام، من قبل مختلف اللاعبين الإقليميّين والدوليّين، والذّين في أغلبهم يُبدون رفضهم لهذه العلاقة.

"بدأت العلاقات السّوريّة – الإيرانيّة تأخذ طابعها المتميّز مباشرة بعد الثّورة الإيرانية، التي انتصرت في العام 1979 أيّ بعد عام تقريباً من توقيع اتفاقية كامب ديفيد في 17 ايلول/ سبتمبر 1978، حيث جاء توقيتها في وقت حساس جداً بالنسبة للجمهوريّة العربيّة السّوريّة، التّي وجدت نفسها فيما بعد وحيدةً تقريباً _ مع المقاومتين اللبنانية والفلسطينية _ في مواجهة "إسرائيل" في المنطقة. ورغم التباينات في بعض المواقف المرحليّة، إلاّ أنّ العلاقة بين البلدين لم تشهد أيّ خلافات. وقد وقفت سوريا خلال الحرب العراقيّة – الإيرانيّة في العام 1980، إلى جانب إيران. وهذا ما أدى إلى تمتين العلاقة بينهما"؛[26] فضلاً عن أن وجود المقدّسات الشّيعيّة الهامّة المتمثّلة بأضرحة شخصياتٍ لها تأثير عميق في العقيدة الشّيعيّة تعزّز العلاقة الاستراتيجيّة، في حين أنّ طهران تعتبر سوريا ممّراً إلزاميّاً لدعم حركات المقاومة المواجهة لـ"إسرائيل"، وخصوصاً حزب الله، وهذا ايضاً ساعد على تعزيز التّحالف الإيرانيّ السّوريّ.

تطوّرت العلاقات أكثر بين البلدين في عهد الرئيس بشار الأسد، و"تُعدّ مذكرة التّعاون الدّفاعيّ، التّي وقعتها سوريا مع طهران في منتصف يونيو/ حزيران 2006 الوحيدة من نوعها بين بلد عربيٍّ وإيران، وشمل تطوّر العلاقات السّوريّة الإيرانيّة عموماً كل الجوانب الاقتصاديّة والثقافيّة وتترجمت من خلال مجموعة من الاتفاقيّات

---

[25] انظر، كريم سجادبور، **إيران حليف سورية الإقليمي الوحيد**، مركز كارينغي للشرق الأوسط، 09 حزيران/يونيو 2014، تاريخ الزيارة في 15 تشرين الأول/أكتوبر 2018، https://carnegie-mec.org/2014/06/09/

[26] عبير بسام، **العلاقات السورية – الإيرانية: أربعون عاماً وتتجدد**، موقع العهد، 13 شباط/فبراير 2019، تاريخ الزيارة في نفس الوقت، https://alahednews.com.lb/article.php?id=2869&cid=124

التّجاريّة والثقافيّة بين البلدين".[27] ويعتبر الوقوف السّوريّ إلى جانب حزب الله أثناء الحرب التّي شنّتها "إسرائيل"، في تموز/ يوليو 2006 إحدى المحطّات المهمّة التّي خرج منها الطرفان بعلاقات أمتن. ويمكن القول إنّ "التّحول الأكثر راهنية في مسار العلاقات السّوريّة الإيرانيّة قد حدث مع اندلاع شرارة الأحداث في سوريا، فعند هذه النّقطة، تحوّلت سوريا، بالنسبة لإيران إلى رهان جيوسياسيّ، وهذا الرهان، لا يرتبط بالسّياق العام لمصالح إيران الإقليمية، بل بجوهر الأمن القومي الإيراني".[28]

لقد تنبّهت إيران مع بدء الأحداث في سوريا، لما يحصل، والتّوافق مع موقف الدولة السورية من الأزمة التي تعصف ببلادها، بأنّ ما يحصل من اضطرابات هي من فعل قوى خارجية، ونتيجة مؤامرة دولية تقف خلفها الولايات المتحدة الأميركية، وسيكون زعزعة استقرار إيران أحد أهداف هذه المؤامرة. كما رأت طهران أنّ المستفيد من الحرب على سوريا هي "إسرائيل"، وذلك من خلال تدمير سوريا، وبالتالي محاصرة إيران نتيجة الإطاحة بالدّولة الحليفة لها في الشّرق الأوسط، ومن ثمّ إضعاف حركات المقاومة التّي تشكّل أساس المواجهة مع العدو الصهيوني بالنّسبة للجمهوريّة الإسلاميّة.

لذا كان الوقوف الإيراني إلى جانب سوريا لا بد منه، نتيجة الاصطفافات الإقليمية الحاصلة من قبل الدول العربية في الخليج ضد دمشق، خاصةً في ظلّ ما يحصل من خلافات بين إيران و"دول مجلس التعاون الخليجيّ، الذّي ذهبت بعض دوله إلى دعم وتسليح الحراك في سوريا".[29]

هذه الرؤية يمكن استخلاصها من مواقف السيد علي الخامنئي، وهو قد أكّد خلال لقائه رؤساء البرلمانات والوفود المشاركة في أعمال مؤتمر اتحاد مجالس الدول الأعضاء في منظمة التّعاون الإسلاميّ في دورته الثالثة عشرة، أن إيران تقوم بواجبها تجاه سوريا لأن هذه مهمتها.[30]ومن ناحية أخرى أكّد السيد الخامنئي خلال استقباله وزير الأوقاف السوري محمد عبد الستار السيد على دعم ايران لصمود سوريا، لافتاً إلى أن سوريا تقع في خط الدفاع الأول ويتوجب علينا الدفاع عنها.[31]

هكذا تنظر إيران إلى التّدخّل في سوريا، حيث تعتبر أنّ ما يحصل فيها هو مخططٌ أميركيٌّ يأتي نتيجة موقفها المقاوم والداعم لفلسطين وحركات المقاومة، وهذا ما أكّد عليه السيد الخامنئي نفسه عقب بدء الأحداث في

---

[27] شفيق شقير، **العلاقات السورية الإيرانية.. من تبادل مصالح إلى تحالف**، موقع الجزيرة، تاريخ الزيارة في 20 ايلول/سبتمبر 2018، https://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/6cb91928-5fb9-4935-8b14-16d18b623c68#1

[28] عبد الجليل زيد المرهون، **قصة العلاقات السورية الإيرانية**، الجزيرة، تم الدخول في 20 ايلول 2018، https://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2013/8/21/

[29] حسين كوراني، المرجع السابق، ص 167.

[30] انظر، **خامنئي: إيران تقوم بواجبها تجاه سورية لأن هذه مهمتها**، موقع مجلس الشعب السوري، 17 كانون الثاني 2018، الدخول في نفس الوقت، http://www.parliament.gov.sy/arabic/index.php

[31] انظر، **الامام الخامنئي: واجبنا أن ندافع عن صمود سوريا**، المنار، 1 اذار 2018، http://almanar.com.lb/3445880

سوريا. وقد صرّح أكثر من مسؤول إيراني، مع بداية الحرب في سورية، عن دعم إيران لسوريا كونها تشكّل جزءاً من محور المقاومة، والقلق من تحوّل سوريا إلى مقرّ دائم للإرهاب، وقد أكّد رئيس مجلس الأمن القوميّ الإيرانيّ السّابق سعيد جليلي، أنّ سوريا شريكٌ حيويٌّ في تحالف طهران الإقليميّ. جليلي الذي زار سوريا في آب/أغسطس عام 2012 والتقى الرّئيس بشّار الأسد أكّد أنّ طهران لن تسمح بكسر محور المقاومة، الذي تُعتبر سوريا عموده الفقري.[32]

وأعلن القائد الأعلى للحرس الثّوريّ الإيرانيّ في حينها الجنرال محمد علي جعفري في أيلول/ سبتمبر 2012 أنّ عناصر من فيلق القدس التّابع للحرس الثّوري موجودون في سوريا، لكنهم يعملون كـ"مستشارين" فقط. لقد وجد المسؤولون الإيرانيّون فيما يحصل في سوريا، ليس سوى "انتقاماً سياسيّاً" أميركياً منها لوقوفها إلى جانب حركات المقاومة ضدّ "إسرائيل"، وعدم تخلّيها عن حليفها الإيرانيّ أمام الضّغوط الأميركيّة، وبالتّالي فإنّ انتشار الإرهاب فيها وعلى رأسه تنظيم "داعش" أتى من خلال الدّعم الأميركيّ للمعارضة السّوريّة المسلّحة.

وممّا لا شكّ فيه أنّ تواجد "داعش" في سوريا كما العراق هدّد حلفاء طهران، ومن هنا، مثّل الدعم الإيراني للدّولة السّوريّة في مواجهة التّنظيم الإرهابيّ، جبهة حربٍ أساسيّةٍ ضدّ التّنظيم في سوريا بعد العراق، حيث يُعدّ الإيرانيون ومعهم حزب الله الفاعلين الأبرز في الميدان إلى جانب الجيش السوريّ.[33]

ولكي تُحقّق طهران أهدافها الاستراتيجيّة، في مجملها، كان عليها تقديم ذلك الدّعم من خلال أدواتٍ سياسيّةٍ واقتصاديّةٍ وعسكريّةٍ، وقد حصرت الجمهوريّة الإسلاميّة الأدوات السّياسيّة في دعم الحلّ السّلميّ للأزمة السّوريّة دون الإطاحة بالرّئيس بشّار الأسد، أمّا دعمها الاقتصاديّ، فتمثّل بالدعم الماليّ للنّظام السّوريّ علاوةً على تقديم النّفط كأحد الموارد الهامّة وسط العقوبات الاقتصاديّة المفروضة على سوريا. بلغت "المساعدات الإيرانيّة للنّظام في سوريا تتراوح بين مليار ومليارَي دولار شهريًّا، ويتمّ إنفاق نحو 500 مليون دولارٍ على المساعدات العسكريّة، يذهب معظمها إلى قوّات الدّفاع الوطنيّ، وعند حساب الودائع البنكيّة والمنحة النّفطيّة، ترتفع التقديرات إلى 10 مليارات دولار شهريًّا"[34]، وكانت إيران قد أودعت ما بين 500 و 750 مليون دولارٍ في البنك المركزيّ السّوريّ، وقد استخدمتها السّلطات للمساعدة في استقرار العملة السّوريّة.[35]

---

[32] انظر، **جليلي: لن نسمح بكسر "المقاومة"**، سكاي نيوز، 7 اب 2012، https://www.skynewsarabia.com/video/38241

[33] للمزيد، انظر، **خطاب السيد نصر الله**، في 16 شباط/فبراير 2019، موقع العهد الاخباري، على الرابط التالي، https://www.alahednews.com.lb/article.php?id=3018&cid=113

[34] فاطمة الصمادي، **لماذا تواصل إيران المأزومة اقتصاديًّا دعم حلفائها؟** مركز الجزيرة للدراسات، 18 شباط 2015، ص 5.

[35] Suleiman Al-Khalidi, ***Exclusive: Iran's support for Syria tested by oil price drop***,reuters, 19DECEMBER 2014, https://www.reuters.com/article/us-mideast-crisis-syria-iran and
Nicholas Blanford,Hezbollah, ***the Shiite militant group, is facing a new enemy: financial austerity***, Monitor,4 January 2015, https://www.csmonitor.com/World/Middle-East/2015/0104/

وشكّل التّعامل مع الأزمة السّوريّة أول مثالٍ حقيقيّ لسياسة إيران الخارجيّة، حيث تمّت الاستعانة خلالها بقوّات الحرس الثّوريّ الإيرانيّ، والتّي اعتبرت مشاركتها اختباراً أساسيّاً لقدرتها. وكان هناك إصرارٌ من قبل الحرس الثوري والإمام الخامنئي على المشاركة الفعلية في الحرب ضدّ الإرهاب، وعلى رأسه تنظيم "داعش". وكان الدّور الإيرانيّ فاعلاً ومؤثراً أثناء المواجهة مع تنظيم "داعش" في سوريا، وقد ساهم إلى جانب حزب الله اللبنانيّ وغيره من الحلفاء لسوريا إلى جانب الدّعم الجويّ الرّوسيّ، في تحرير الكثير من الأراضي السّوريّة. ويمكننا هنا إعطاء خير مثالٍ على ذلك، ألا وهو تحرير البوكمال، التّي كانت تُعتبر آخر معاقل "داعش" في سوريا.[36] لقد استفادت إيران من الدخول إلى سوريا، بأنّها استطاعت أنّ تمدّ نفوذها في منطقة الشّرق الأوسط، عبر الدّخول إلى سوريا، ووضع موطئ قدم لقوّاتها في هذه المنطقة الاستراتيجية، وقد استطاعت عبر ذلك أن تؤمّن ممّراً آمناً لحصول حزب الله على السّلاح، وأن تحقّق هدفاً استراتيجياً باقتراب قوّاتها من كيان الاحتلال الإسرائيليّ، عبر تعزيز تواجدها في الجنوب السّوريّ، وتشكيل قوّاتٍ حليفةٍ لها قرب الجولان السّوري المحتلّ.

ولطالما سعت إيران إلى مواجهة القوّات الإسرائيلية عبر قوى المقاومة، أما اليوم فقد استطاعت أن تصبح التّهديد الأخطر لـ"إسرائيل" من خلال وجودها في الجنوب السّوريّ، وعلى الرغم من أنّ طهران استطاعت تثبيت معادلة ردعٍ ضدّ "إسرائيل" في سوريا، إلاّ أنّ "تل أبيب" قد استغلت وجودها لتوجيه رسائل لها عبر استهداف سوريا. إلى ذلك، استفادت إيران من الدّخول إلى سوريا، لتعزّز تواجدها بين سوريا والعراق وتقيّم خطّاً ثلاثياً معهما، وذلك من خلال وجودها في شرق الفرات حيث الحدود المشتركة مع العراق. فإنّها في المنظور الإيراني، ذات أبعاد جيواستراتيجيّةٍ هامّة، لذلك فهي حريصةٌ من خلال قوّات الحشد الشّعبيّ على التّواجد فيها أيضًا. حيث تهدف إيران لمدّ جسرٍ لها على المعابر الحدوديّة بين العراق وسوريا في الشّرق السّوريّ؛ بغرض ضمان تواصل ممرّها البرّيّ من طهران إلى بيروت.

وفي هذا الصدد، يوجد في الشّمال الشّرقيّ السّوريّ منفذان حدوديان رسميان بين سوريا والعراق: الأول يتمثل بالبوكمال مقابل مدينة القائم العراقية، وتسيطر عليه من جهة سوريا قوّات النّظام والحشد الشّعبيّ العراقيّ، أمّا الثاني فهو اليعربية في مدينة الحسكة، مقابل منفذ ربيعة العراقيّ في نينوى، وتسيّطر عليه من جهة سوريا قوات "سوريا الديمقراطية" المدعومة أمريكيًّا، كما استطاعت قوات الحشد الشعبي إنشاء معبرٍ حدوديٍّ جديدٍ غير رسميٍّ في مدينة البعاج. وبالتّالي، فهناك ممرّان بريّان يسيطر عليهما حلفاء إيران من النّاحيتين السّوريّة

[36] لمزيد من المعلومات، انظر خطاب الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، المرجع السابق، موقع العهد الاخباري.

والعراقيّة، أحدهما رسميّ والآخر غير رسميّ".[37] وقد شرحنا آنفاً كيف تسعى إيران لتقيم طريقاً يمتّد من طهران مروراً بالعراق وصولاً إلى اللاذقية. وفي المحصلة، يمكن الإشارة إلى أنّ الوجود الإيرانيّ كان هاماً جداً بالنّسبة لسوريا والعراق، حيث ساهمت إيران بشكلٍ كبيرٍ في الحرب على الإرهاب فيهما. لكن لا يخفى على أحدٍ، أنّ هذا الوجود أدّى إلى تفاقم حدّة الخلافات بينها وبين الدّول العربيّة، وعلى رأسها السعودية. حيث تتطلع الأخيرة من منظار مصالحهم أنّ المساعدة الإيرانيّة هي تدخّلٌ في الشّؤون العربيّة، وأنّ طهران تعمل على توسيع نفوذها على حساب الدّول العربيّة، علماً أنّه في حين كانت إيران تساعد سوريا، كانت بعض الدّول العربيّة تدعم مجموعاتٍ مسلحةً تعمل على ضرب بنية الدّولة السّوريّة وإسقاط الحكومة فيها. ويمكن القول أنّ النّظرة العربيّة لإيران الإسلاميّة تقوم على إشكاليةٍ شديدة التّعقيد في الأدبيّات السّياسيّة العربيّة، لأنّها بقدر ما يمكن التّعامل معها على أنّها مصدرٌ مؤكّدٌ أو محتملٌ للتّهديد بالنّسبة للعرب، فإنّها أيضاً تبقى شريكاً إن لم تكن حليفاً ثقافياً وسياسياً بل وحضارياً، و"يبقى الاستثناء محدوداً في الإدراك السّياسيّ الذي يرى أنّ إيران مصدراً كاملاً للتّهديد ولا يمكن أن تكون حليفاً أو الذّي يرى إيران حليف بالمطلق ولا يمكن أن تكون مصدراً للتهديد".[38]

مع أنّ المسؤولين الإيرانيين دائماً ما يسعون إلى تسوية العلاقات مع الدول العربيّة والإسلاميّة، إلاّ أنّ هناك نظرة عدم قَبولٍ دائمٍ لها من قبل عدّة دولٍ عربيةٍ. وعلى الرّغم من أن بعض الدول العربية عارضت الدّور الإيرانيّ في محاربة الإرهاب في سوريا والعراق، إلاّ أنّ طهران لعبت دوراً مؤثّراً وفاعلاً إلى جانب حلفائها في قوى المقاومة كحزب الله والحشد الشعبيّ وفصائل أخرى في محاربة كافّة التّنظيمات الإرهابية.

---

[37] طارق دياب، **الوجود الإيراني في سوريا: اتفاقات ومسارات، المعهد المصري للدراسات**،13 اب 2018، ص 5.

[38] محمد إدريس، **إيران والأمن القومي العربي**، المركز العربي لأبحاث ودراسات السياسية، 16 كانون الأول/ديسمبر 2011، تاريخ الزيارة في 20 ايلول/سبتمبر 2016، https://www.dohainstitute.org/ar/

المطلب الثاني: دور حزب الله والحشد الشعبيّ في في محاربة الإرهاب

شكّلت قوى المقاومة لاعباً فاعلاً وأساسياً في الحرب على الإرهاب، وكان لحزب الله الدّور البارز في هذه المواجهة خاصةً في سوريا، كما لعب الحشد الشّعبيّ العراقيّ دوراً بالغ الأهمية بعد تأسيسه، على إثر الفتوى التّي أصدرتها المرجعية الدينية المتمثلة بشخص السّيد علي السيستانيّ. من هنا، سوف نتحدث في هذا المطلب عن دور حزب الله في سوريا، ومن ثم نتطرّق إلى دور الحشد الشّعبي في العراق.

الفقرة الأولى: دور حزب الله في محاربة الإرهاب

شكّل حزب الله أحد أهمّ الدّاعمين والمساهمين في الحرب ضدّ الإرهاب في لبنان وسوريا والعراق، وقد وقف بكل قواه إلى جانب الرّئيس السّوريّ. فمع بداية العام 2013 وتصاعد قوّة المعارضة المسلّحة في سوريا، بدأ حزب الله بإعلان موقفه الواضح تجاه سوريا بعد خطاب الأمين العام للحزب السّيد حسن نصر الله الذي قال فيه: "إنّ النّظام في سوريا لن يسقط"، وتبعها بعد ذلك في شهر نيسان/ أبريل عام 2013 إعلان السيد نصر الله المشاركة رسمياً في "معركة القصير" في حمص.[39] كان هذا الدخول لأسبابٍ عدّة، منها أنّ حزب الله ينظر إلى سوريا على أنّها الدّولة العربيّة الوحيدة الدّاعمة لقضية فلسطين وحركات المقاومة ضدّ العدو الإسرائيليّ، وكانت سوريا أمام تحدٍ وجوديٍّ، وكان سقوطها يشكّل التّهديد الأخطر على قوى المقاومة، فهدف التّخلص من المقاومة هو مطلبٌ أميركيٌّ إسرائيليٌّ.

لذلك فقد رأى حزب الله أنّه لا بد من الوقوف إلى جانب سوريا، وهو أراد من خلال الدخول إلى سوريا حماية عمقه الاستراتيجيّ وعدم خسارة خطوط الإمدادات الإيرانية والسورية. هذا فضلاً عن التّهديد الذّي شكّلته الجماعات الإرهابيّة وعلى رأسها تنظيم "داعش"، بتواجدها على الحدود السّوريّة اللبنانيّة ودخولها إلى بعض المناطق اللبنانيّة.[40] ولا يخفى على أحدٍ أنّ التّدخّل الرّئيسيّ لحزب الله في سوريا، كان من أجل الدّفاع عن الأضرحة المقدّسة هناك، وعلى رأسها ضريح السّيدة زينب ابنة الإمام علي بن أبي طالب، الذّي كان عرضةً للتهديد إلى جانب ضريح السّيدة سكينة في منطقة داريا الذّي طالته أيادي التّخريب، وكذلك مقام السّيدة رقية

---

[39] انظر، حسام صالح، **هكذا بدأ تدخل حزب الله في سوريا.. وهذه كبرى المجازر التي ارتكبها**، موقع الحل، 15 شباط/فبراير 2018، تاريخ الزيارة في 10 اذار/مارس 2018، https://7al.net/2018/02/15/

[40] انظر، أحمد شبيب مسلماني، **حزب الله والجغرافيا السياسية للأقليات (معلولا نموذجاً)**، الطبعة الأولى، بيروت، دار بيسان، كانون الثاني 2019، ، ص 123.

في العاصمة دمشق.[41]منذ البداية، لم يخفَ المخطط من تلك الحرب، التي شُنّت على سوريا، فقد تعدّت الأمور حدود المطالبة بإصلاحاتٍ أو تغيير مسار الحكومة السّوريّة والمطالبة فقط بإزاحة الرئيس الأسد؛ فكان المخطط واضحاً في تقويض محور المقاومة، وتفكيك الجيوش في دول المنطقة، ليصبح تقسيم دول العالم العربيّ أو على الأقل سوريا والعراق إلى دويلات مذهبيّة وعرقيّة أمراً سهلاً.[42] وأمام التّهديد الذّي كان سيلحق بالمقاومة، والوضع الذّي سيكون كارثياً لنتائج سقوط الدّولة السّوريّة، كان عليها المبادرة للدّفاع عن نفسها أولاً، ومن ثمّ المشاركة في إسقاط هذا المشروع، بعد أن اتضحت حقيقة الأمور، التّي حملت صراعاً بين محورين على الأرض السورية، لذلك كان من البديهي أن تتدخل قوى المقاومة وفي مقدمتها حزب الله لتمنع سقوط الدّولة السّوريّة.[43]

وقد قال الأمين العام لحزب الله في إحدى خطاباته في ذكرى "عيد المقاومة والتحرير" بتاريخ 27 أيار/ مايو 2013، "سوريا هي ظهر المقاومة، وهي سند المقاومة، والمقاومة لا تستطيع أن تقف مكتوفة الأيدي ويُكشَف ظهرها أو يُكسَر سندُها، إذا سقطت سوريا في يد الأميركيّ والإسرائيليّ والتّكفيريّ، ستُحاصر المقاومة وسوف تدخل إسرائيل إلى لبنان، وإذا سقطت سوريا ضاعت فلسطين".[44] لقد وصلت قوى المقاومة في لبنان إلى نتيجةٍ مفادها أنّ المجموعات المسلّحة تزجُّ لبنان بالصراع، فاتّخذت قراراً بمواجهة هذه الجماعات، التّي دخلت الحدود اللبنانية، من أجل الدفاع عن اللبنانيين، ومنع تحويل لبنان إلى بؤرة أمنيّة مشاركة في استهداف الدّولة السّوريّة.

الدّور الآخر الذّي لعبه حزب الله في سوريا هو الدّفاع عن الأقليات الدينيّة، التّي عمل "داعش" وغيره من التّنظيمات المتطرّفة على استهدافها، فقد بدأت هذه التّنظيمات بالتّطهير العرقيّ ضدّ الأقليّات في المناطق التّي دخل إليها، وفي مقدمتها القرى المسيحيّة في مدينة حمص والقصير والقلمون، وفي كل قريةٍ أو بلدةٍ تطالها أيدي الإرهابيّين.[45] لقد تدرّج دور حزب الله في سوريا من العمل الدفاعيّ عن المناطق الحدوديّة، إلى التّحول في الأداء من الخبرة الدفاعيّة إلى المشاركة الميدانيّة الهجوميّة إلى جانب الجيش السّوريّ، وتحول أداؤه العسكريّ إلى التّكتيك الهجوميّ المضاد لحرب العصابات في وجه الجماعات المسلّحة وعلى رأسها تنظيم "داعش" في

---

[41] نظر، أحمد مسلماني، المرجع السابق، ص 132.

[42] انظر، سمير الحسن، **الحرب السورية**، الطبعة الأولى، بيروت، دار بيسان، 2017، ص 128.

[43] انظر، أحمد سلماني، المرجع السابق، ص 127.

[44] **خطاب الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله**،27 ايار 2013، قناة المنار.

[45] أحمد شبيب مسلماني، المرجع السابق، ص 130.

سوريا.وقد ظهر ذلك في مدينة القصير في حزيران/ يونيو 2013، حيث دخل حزب الله والجيش السوري إلى المدينة، التي سقط معها "حلم وصول العناصر الإرهابية إلى ميناء طرابلس".[46]

وقد استطاع حزب الله الدّخول إلى منطقة القلمون السّوريّة في 14 نيسان/ أبريل 2014، وبذلك استطاع الوقوف إلى جانب الجيش السّوريّ، والعمل على تحرير معظم المناطق السّوريّة، بما فيها حمص وحلب وصولاً إلى دير الزّور ومنطقة البوكمال آخر معاقل "داعش" في سوريا.[47] حقّق حزب الله إنجازاتٍ كبيرةً في سوريا، جعلته حزباً يلعب دوراً إقليمياً عابراً لدوره المحليّ، وجعلته ينطلق من الحماية لمناطقه وعمقه الاستراتيجيّ، إلى ركيزة أساسيّة للدّفاع عن الدّولة السّوريّة، وتحقيق انجازات قلبت المعادلة العسّكريّة، وساهمت في إفشال مشروع الشّرق الأوسط الجديد.

كما استطاع أن يُنمّي قدراته العسّكريّة لمحاكاة أساليب القتال في مختلف الظّروف والبيئات الجغرافيّة المحيطة بأيّ معركة، ومن ثمّ قام بتأمين خطوط الدّعم الاستراتيجيّة لإدخال السّلاح له عبر سوريا، كما استطاع أن يُضاعف شعبيته في لبنان، نتيجة مواجهته للجماعات الإرهابيّة. لكن على المستوى الإقليميّ، وعلى الرغم من أنّ الحزب استطاع أن يأخذ دوراً على السّاحة الإقليميّة، إلاّ أنّه بدأ يمشي في حقل ألغامٍ سياسيٍّ، نتيجة معاداة الدّول العربيّة الدّاعمة للجماعات السّوريّة المسلحة لدور حزب الله.

أمّا على الصّعيد الدوليّ، فقد ساهم دخول حزب الله المعركة في سوريا، وتحقيقه الانجازات إلى جانب سوريا وحلفائها، في قلب المعادلات التي أدّت إلى تغيّر جدول المفاوضات في الأزمة السّوريّة، من المطالبة برحيل الرّئيس الأسد وبقاء الحكومة السّوريّة.

من هنا، شكّل حزب الله قوّةً رئيسيَّة مساهمةً في محاربة الجماعات الإرهابية ومشاركةً في حماية النّظام السّوريّ، خاصةً أنّ الحزب كان قد أرسل مئات الأفراد من قوّاته للعمل بشكلٍ مباشرٍ في الميدان السّوري، الذي لم يقتصر على إرسال القيادات فقط. كما وشكّلت قوّات حزب الله، التّي اكتسبت خبراتٍ جديدةٍ خلال مشاركتها في سوريا، تهديداً "لإسرائيل" عبر إرساء معادلات ردعٍ جديدةٍ نتيجة تمكّنها من العمل في الجنوب السّوريّ.

هذا بالإضافة إلى تمكّنه من الحصول على مزيد من السّلاح الثّقيل وتأمين طريق لنقله إلى لبنان. حيث شكّل عدم سقوط نظام الرّئيس السّوريّ نصراً استراتيجيّاً لحزب الله، الذّي كان يرى في سقوط هذا النّظام خسارةً كبرى

---

[46] أحمد شبيب مسلماني، المرجع نفسه، ص 135.

[47] انظر، **خطاب السيد نصر الله في ذكرى قادة حزب الله**، المرجع السابق، موقع العهد.

لمحور المقاومة. فقد قوي الأخير وتوسع عقب الحرب على الإرهاب، حيث انضمّت إليها فصائل المقاومة العراقيّة المنضوية تحت لواء الحشد الشعبيّ، الذّي شكّل قوّة رئيسيّة في مكافحة تنظيم "داعش".

الفقرة الثانية: دور الحشد الشّعبيّ العراقيّ في الحرب ضدّ "داعش"

شكّلت مشاركة الحشد الشّعبيّ العراقيّ في المعارك العسّكريّة ضدّ تنظيم "داعش"، دعامةً أساسيَّة لتحرير مختلف المناطق العراقيّة. وكانت معركة الموصل، من المعارك البارزة التّي خاضتها قوّات الحشد، والتي شكّلت المسألة الأكثر تعقيدًا وإثارةً للجدل من وجهة نظر مختلف الأطراف السُنِّيَّة والكردية، وأيضًا التّحالف الدّوليّ، في حين كان ذلك محل إجماعٍ لدى الأطراف الشيعيّة ولدى الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، خاصةً أنّ الحشد الشّعبيّ العراقيّ تحوّل إلى قوّةٍ رئيسيةٍ لها تنظيمها الخاصّ، داخل القوات العراقية.[48] فضلاً عن القَبول الواسع لهذه القوّة، من قبل أكثرية الشّعب العراقيّ، بعد صدور فتوى المرجع الديني الشيعي في العراق السيد علي السيستاني[49]. لقد تَشَكَّلَ الحشد الشّعبيّ من المتطوعين من أبناء الشّعب العراقيّ، الذين قاتلوا وفق فصائل متعدّدة، بعد فتوى (الجهاد الكفائي[50]) التي أطلقتها المرجعية الدينية في النّجف الأشرف، وأعلنها ممثلها في كربلاء السيد عبد المهدي الكربلائي، يوم الجمعة المصادف 13 حزيران/ يونيو 2014، إثر سيّطرة تنظيم "داعش" الإرهابيّ السريعة على مدن عدّة في شمال العراق وغربه، متوغلاً باتجاه مدينتي سامراء وديالى، ومن الغرب باتجاه مدينة بابل في جرف الصخر. وقد هدّد هذا التّنظيم الإرهابيّ العاصمة بغداد، وبات على مشارف محافظتي بابل وكربلاء المقدّسة.[51] بعد هذه الفتوى تمّ تشكيل (مديرية الحشد الشعبي) التّابعة لجهاز الأمن الوطنيّ، تأخذ على عاتقها تنظيم شؤونه من مرحلة التّطوّع إلى التّجهيز العسّكريّ والإرسال إلى جبهات القتال، ثمّ تحولت قيادة الحشد الشّعبيّ إلى مجلس الوزراء وبإشراف رئيس الوزراء. وأوضحت دائرة شؤون مجلس الوزراء أنّ التّوجيه يأتي بناءً على قرار المجلس رقم (138) المتّخذ في جلسته الاعتياديّة الرابعة عشرة لسنة

---

[48] انظر، رائد الحامد، **معركة الموصل المرتقبة: القوى المشاركة والرهانات المتضاربة**، مركز الجزيرة للدراسات، 21 ايلول/سبتمبر 2017، ص 3.

[49] السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظلّه) هو من أبرز تلامذة المرجع الديني الكبير الراحل السيد ابو القاسم الخوئي، ولد في التاسع من شهر ربيع الأول عام 1930 للهجرة في المشهد الرضوي الشريف في أسرة علمية معروفة، بلغ مرحلة الاجتهاد المطلق في الفقه الشيعي بعمر 31 عاماً، وعندما توفي السيد الخوئي ارجع اليه في التقليد جمع من العلماء الأعلام، (الموقع الرسمي للسيد السيستاني)

[50] أجمع الفقهاء من كافة المسلمين هو أنّ الجهاد واجب على الكفاية بحيث لو قام به البعض من المكلّفين سقط عن الباقين منهم، (محمد بن الحسن الطوسي، المبسوط في فقه الإمامية، ج 2، ص 2).

[51] مجموعة من الباحثين، **الحشد الشعبي.. الرهان الاخير**، الطبعة الثانية، بغداد، مركز بلادي للدراسات والابحاث الإستراتيجية، سلسلة كتاب المركز رقم (1)، 2015، ص9.

2015.[52] وتمّ تنظيم فعاليات الحشد الشّعبيّ من خلال إصدار قانون هيئة الحشد الشعبي رقم (40) لسنة 2016، الذّي أكّد على أن تكون الهيئة المعاد تشكيلها بموجب الأمر الديواني المرقم (91) في 2016/2/24 تشكيلاً يتمتّع بالشّخصيّة المعنويّة، ويُعدّ الحشد جزءًا من القوّات المسلّحة العراقيّة.

ويتألف هذا التّشكيل من قيادةٍ وهيئة أركان وألويةٍ مقاتلةٍ، من كافّة مكوّنات الشّعب العراقيّ، ويرتبط بالقائد العامّ للقوّات المسلّحة، ويخضع للقوانين العسّكريّة النّافذة، حيث يتمّ تعيين قياداته بموافقة مجلس النواب استناداً لأحكام البند (خامساً/ج) من المادة (61) من دستور جمهورية العراق لعام 2005.[53]

وقَدَّر المتحدّث باسم الجيش الأميركيّ في العراق، الكولونيل كريس غارفر، أنَّ قوّات الحشد الشّعبيّ، تنامت إلى نحو 100 ألف مقاتلٍ بعد ظهور تنظيم "داعش".

وقد لعب الحشد دوراً بارزاً ضدّ التّنظيم، من خلال تحرير أو المشاركة في تحرير الكثير من المناطق العراقيّة، مثل آمرلي وجرف الصخر وتلعفر وبلد والدور والعلم والبغدادي وتكريت وبيجي والضلوعية وحزام بغداد وديالى والموصل والأنبار.[54]

لقد نجحت قوّات الحشد الشّعبيّ في إيقاف الّتمدّد السّريع لتنظيم "داعش" نحو بغداد وسامراء وكربلاء، وتمكّن من إبقاء المدن المقدّسة والعاصمة بغداد خارج دائرة خطر تمدّد التنظيم، فضلاً عن مساعدة الدّولة على استعادة زمام المبادرة على الأرض المحرّرة بعد تحقيق الانتصارات العسّكريّة.

وعلى الرغم من أهمية دورها، وما قدّمته لتحرير العراق من "داعش"، إلاّ أنّ هناك أصواتاً علت ضدّها، حيث قامت دولٌ عربيّةٌ بتحريض فئةٍ من العراقيّين المختلفين عقائدياً مع هذه القوّات للمطالبة في حلّها وإنهاء دورها.

كما أنّ الإدارة الأميركيّة تقوم بالضّغط على الحكومة العراقيّة، لإنهاء دور هذه القوّات، التّي تعتبرها واشنطن تهديداً رئيسياً لها في العراق، ويمكن أنّ تقوم بعمليات عسّكريّة ضدّها، وخاصةً أنّها تعتبرها أحد أذرع طهران.

---

[52] **الامانة العامة لمجلس الوزراء تؤكد ان هيئة الحشد الشعبي هيئة رسمية**، مجلس الوزراء العراقي، 9 نيسان/ابريل2015، تاريخ الزيارة في 20 ايلول/سبتمبر 2017، http://cabinet.iq/ArticleShow.aspx?ID=6047

[53] **قانون هيئة الحشد يدخل حيز التنفيذ بعد نشره بجريدة الوقائع الرسمية، موقع الحشد الشعبي**، 3 كانون الثاني/يناير2017، تاريخ الزيارة في 5آب2017/اغطس، http://al-hashed.net/2017/01/03/

[54] الحشد الشعبي.. الرهان الأخير، المرجع السابق، ص26.

الخاتمة

لقد انعكس انتشار التنظيمات المتطرفة، أكثر ما انعكس على سوريا، حيث شكلت الأزمة السورية أحد أبرز التهديدات للأمن القومي العربي، فضلاً عن أنه شكلت تهديداً للسلم والأمن الدوليين، بعد أن انقسم العالم بسبب هذه الأزمة ومحاربة الإرهاب، وتدخل القوى العظمى فيها، إلى جانب أطراف إقليمية متعددة، إلى شطرين أو محورين محور بقيادة الولايات المتحدة الأميركية وتنضوي فيه الدول الغربية ودول عربية، ومحور يدافع عن سوريا، وتتقدمه روسيا والصين وإيران وقوى المقاومة، ما أدى إلى زيادة الشرخ في السياسة الدولية، وهذا ما بات يهدد الأمن القومي العربي، حيث ارتفعت فرضية إمكانية حصول صدام بين هذه القوى فيه.

لقد شكّل حزب الله في سوريا والحشد الشّعبيّ في العراق قوّةً رئيسيّةً في في محاربة الإرهاب إلى جانب القوّات الرسميّة في هاتين الدولتين. لكن هذا التّدخل زاد دون أدنى شك من التّجاذبات الإقليميّة، وزاد من الشّرخ الحاصل بين الدّول العربيّة وإيران وحلفائها؛ خاصةً أنّ هناك تجاذباتٍ تحصل في أكثر من ساحةٍ عربيةٍ، تتّهم خلالها الدول العربية إيران التّدخل في شؤونها، علماً أن هذه الدولة ترسل رسائل دائمة بعدم التّعرض للأمن العربيّ، وعدم سعيها إلى ضرب استقرار هذه الدول، إنّما ترفض هيمنة الولايات المتّحدة الأميركيّة على إقليم الشّرق الأوسط، ومحاصرتها عبر الدّول العربيّة التي تتناحر وتحارب بعضها البعض وتشن عدواناً ظالماً على اليمن أيضاً فضلاً عما فعلته في سوريا والعراق من دعم للجماعات الارهابية.

لقد بات من الصعب العودة إلى علاقات جيدة بين هذه الدول كما كانت عليه قبل الأزمة السورية، خاصةً أمام الشرخ الحاصل بين سوريا ومؤيديها والدول العربية التي سعت إلى إسقاط نظامها. لذلك كان من المهم البحث في هذا الموضوع، نتيجة ما يشكله وجود التنظيمات الإرهابية على أمن دولنا واستقرارها ومستقبل شبابنا من خطورة. فعلى الرغم من الانتصار على هذا التنظيم والقضاء عليه عسكرياً، عبر قيام تحالفات ضدّه، من خلال التحالف الروسيّ الإيرانيّ السوريّ، الذّي لعب الدّور الأبرز والأصدق في القضاء على الإرهاب المتمثل بتنظيم "داعش" و"القاعدة".

في حين كان التحالف الدوليّ بقيادة الولايات المتّحدة الأميركيّة المستفيد الأكبر من وجود هذ التنظيم للدخول إلى سوريا والعراق. لكن لا بد من استمرار المواجهة ضده، لأن تنظيم "داعش" وإن انتهى عسكرياً من خلال تحرير المناطق التي يسيطر عليها، إلا أنّ فكره لا يزال قائماً ويهدد كافة دول العالم، وهو سيتحول إلى تنظيمٍ سري، يحرّك الخلايا النّائمة، كما يفعل تنظيم "القاعدة"، وسينتظر اللحظة المناسبة للقيام بعملياتٍ إرهابية وخاصةً في شمال أفريقيا وشرق آسيا.

لائحة المراجع:

المراجع العربية

الكتب

- أحمد شبيب مسلماني، حزب الله والجغرافيا السياسية للأقليات (معلولا نموذجاً)، الطبعة الأولى، بيروت، دار بيسان، كانون الثاني 2019.
- دايفيد دبليو ليش، سوريا سقوط مملكة الأسد، ترجمة انطوان باسيل، الطبعة الأولى، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2014.
- رائد الحامد، المرتزقة في العراق..ميليشيات وفرق وموت الفصل الثالث، من كتاب الاحتلال الأميركي في العراق المشهد الأخير، سلسلة كتب المستقبل العربي، الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2007.
- سمير الحسن، الحرب السورية، الطبعة الأولى، بيروت، دار بيسان، 2017.
- مجموعة من الباحثين، الحشد الشعبي.. الرهان الاخير، الطبعة الثانية، بغداد، مركز بلادي للدراسات والابحاث الإستراتيجية، سلسلة كتاب المركز رقم (1)، 2015.

الدراسات

- تامر بدوي، التأثيرات المحتملة لتنظيم الدولة على المجال الأوراسي: الأبعاد والتداعيات الإقليمية، مركز الجزيرة للدراسات، 23 تشرين الثاني 2014، وانظر ديمتري ترينين، المصالح الروسية في سورية، كارينغي الشرق الأوسط، 11 حزيران/يونيو 2014.
- حسين محمد كوراني، السياسة الخارجية الروسية حيال الاتحاد الأوروبي، رسالة إعدت لنيل شهادة الماستر في العلاقات الدولية، الجامعة الإسلامية في لبنان – كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2015.
- رائد الحامد، معركة الموصل المرتقبة: القوى المشاركة والرهانات المتضاربة، مركز الجزيرة للدراسات، 21 ايلول/سبتمبر 2017.

- روسيا ترسل أنظمة دفاع جوي إلى سوريا لحماية طائراتها، روسيا اليوم، 05 تشرين الثاني/نوفمبر 2015، ومي غيث، التدخل الروسي في سوريا: الأبعاد والسيناريوهات، المعهد المصري للدراسات ، 25 تشرين الثاني/نوفمبر 2015.
- طارق دياب، الوجود الإيراني في سوريا: اتفاقات ومسارات، المعهد المصري للدراسات،13 اب 2018.
- فاطمة الصمادي، لماذا تواصل إيران المأزومة اقتصاديًّا دعم حلفائها؟ مركز الجزيرة للدراسات، 18 شباط 2015.
- كريم سجادبور، إيران حليف سورية الإقليمي الوحيد، مركز كارينغي للشرق الأوسط، 09 حزيران/يونيو 2014، تاريخ الزيارة في 15 تشرين الأول/أكتوبر 2018، https://carnegie-mec.org/2014/06/09/
- محمد إدريس، إيران والأمن القومي العربي، المركز العربي لأبحاث ودراسات السياسية، 16 كانون الأول/ديسمبر 2011، تاريخ الزيارة في 20 ايلول/سبتمبر 2016، https://www.dohainstitute.org/ar/

الصحف والمجلات

- عبدالعزيز الظاهر، النفوذ الإيراني في العراق، مجلة البيان العراقية، 23 اب/أغسطس 2017، http://www.albayan.co.uk/mobile/MGZarticle2.aspx?ID=5946
- عمرو منصور، المخاوف الروسية والموقف الأمريكي من تمدد داعش في القوقاز، السياسة الدولية، 30 كانون الثاني/يناير 2015.
- نوار جليل هاشم وأمجد طعمة، السياسة الروسية إتجاه عملية التغيير في سوريا، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، العدد السابع، ايلول/سبتمبر 2015، ص 9 حتى 15.

المواقع الالكترونية

- الامام الخامنئي: واجبنا أن ندافع عن صمود سوريا، المنار، 1 اذار 2018، http://almanar.com.lb/3445880

- الامانة العامة لمجلس الوزراء تؤكد ان هيئة الحشد الشعبي هيئة رسمية، مجلس الوزراء العراقي، 9 نيسان/ابريل2015، تاريخ الزيارة في 20 ايلول/سبتمبر 2017، http://cabinet.iq/ArticleShow.aspx?ID=6047
- ثلاث سنوات للعملية العسكرية الروسية في سوريا... ماذا تحقق، وكالة سبوتنيك، 30 ايلول/سبتمبر 2018، تاريخ الزيارة في 20 ايلول/سبتمبر، https://arabic.sputniknews.com/arab_world/201809301035694100 2018
- خامنئي: إيران تقوم بواجبها تجاه سورية لأن هذه مهمتها، موقع مجلس الشعب السوري، 17 كانون الثاني 2018، الدخول في نفس الوقت، http://www.parliament.gov.sy/arabic/index.php
- شفيق شقير، العلاقات السورية الإيرانية.. من تبادل مصالح إلى تحالف، موقع الجزيرة، تاريخ الزيارة في 20 ايلول/سبتمبر 2018، https://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/6cb91928-5fb9-4935-8b14-16d18b623c68#1
- صابر كل عنبري، التصعيد بين تنظيم الدولة وإيران..الدوافع والمآلات، الجزيرة، 16 اب/أغسطس 2017، تاريخ الزيارة في 20 ايلول/سبتمبر 2017، https://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2017/8/16/
- عبد الجليل زيد المرهون، قصة العلاقات السورية الإيرانية، الجزيرة، تم الدخول في 20 ايلول 2018، https://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2013//8/21/
- قانون هيئة الحشد يدخل حيز التنفيذ بعد نشره بجريدة الوقائع الرسمية، موقع الحشد الشعبي، 3 كانون الثاني/يناير 2017، تاريخ الزيارة في 5آب2017/اغطس، http://al-hashed.net/2017/01/03/
- لافروف: أهداف العملية الروسية في سوريا مكافحة الإرهاب لا دعم أي من القوى السياسية، روسيا اليوم، 1 تشرين الأول/أكتوبر 2015، تاريخ الزيارة في 20 ايلول/سبتمبر 2017، https://arabic.rt.com/news/795582-
- مسؤولون أميركيون: 4 آلاف جندي روسي في سوريا، سكاي نيوز، 5 تشرين الثاني/نوفمبر 2015، تاريخ الزيارة في 20 ايلول/سبتمبر 2017، https://www.skynewsarabia.com/world/788439

- هشام جابر، روسيا في سوريا.. الأهداف والقدرات والنتائج، موقع الجزيرة، 8 تشرين الأول/أكتوبر 2015، تاريخ الزيارة في 20 ايلول/سبتمبر 2017/https://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2015/10/8

المراجع الأجنبية

- Azuolas Bagdonas, Russia's Interests in the SyrianConflict:Power, Prestige, and Profit, European Journal of Economic and Political Studies,p57 .
- Bruno Gomes Guimaraes and Marcelo Scalabrin Müller, Iran Joins ISIS Fight,TheDiplomat, 09 December 2014,https://thediplomat.com/2014/12/iran-joins-isis-fight
- DAVID M. HERSZEN HORN, For Syria, Reliant on Russia for Weapons and Food, Old Bonds Run Deep, The New York Times, 18 FEB 2012.
- FARNAZ FASSIHI,Iran Deploys Forces to Fight al Qaeda-Inspired Militants in Iraq,The Wall Street Journal, 12 June 2014, https://www.wsj.com/articles/iran-deploys-forces-to-fight-al-qaeda inspired-militants-in-iraq-iranian-security-sources-1402592470
- Iran changes course of road to Mediterranean coast to avoid US forces, TheGuardian16 ,May 2017, https://www.theguardian.com/world/2017/may/16
- Kathrin Hille in Moscow, Russia defies recession to fund Syria conflict, 25 OCTOBER 2015, https://www.ft.com/content/8f9c21fa-7957-11e5-933d-efcdc3c11c89
- Margarete Klein, Russia's Policy on Syria: On the Way to Isolation, Scpss, 30 March 2012 https://www.scpss.org/libs/spaw/uploads/files/Policy/03-30-2012_Russia's_Policy_on_Syria_Klein.pdf

- Martin Chulov in Baghdad, Iran sends troops into Iraq to aid fight against Isis militants, the guardian, Sat 14 Jun , https://www.theguardian.com/world/2014/jun/14/iran-iraq-isis-fight-militants-nouri-maliki?CMP=fb_gu
- Nicholas Blanford,Hezbollah, the Shiite militant group, is facing a new enemy: financial austerity, Monitor,4 January 2015, https://www.csmonitor.com/World/Middle-East/2015/0104
- Suleiman Al-Khalidi, Exclusive: Iran's support for Syria tested by oil price drop,reuters, 19DECEMBER 2014, https://www.reuters.com/article/us-mideast-crisis-syria-iran and